ضوابط الاعتدال فی الإنفاق
Principles of Moderation in Spending

* Dr. Manzoor Ahmad Al-Azhari

Abstract

Money has been given a significant status in Islamic teachings for its vital role in economy as prime intermediary to promote trade and employment. Hard earned *Ḥalāl* money is difficult to spend, so Islam has taken certain measures to persuade its followers to spend money for self needs, necessities and even luxuries but in a moderate manner avoiding destructing it in extravagant expenditure. This paper studies the Islamic principles of moderation in spending. It finds that Muslims are not only allowed but demanded to spend money with generosity but it is within certain limits.

Key words: Islam, Spending, Needs, Moderation

إن الإسلام يحث على الإنفاق في وجوه الخير ويأمر أتباعه أن يجعلوه وسيلة الرخاء الاقتصادي للناس فلا يمنعوه عن أنفسهم وأهلهم والمجتمع كله ولأن المال مال الله والإنسان مستخلف فيه فلايحرم الجماعة عن المشاركة في خيراته وثمراته، فالمال ليس غاية في نفسه بل وسيلة إلى ما أسمى منه وهو مرضاة الله تعالى فيما أعطى وأمسك. فالإنفاق ليس مجرد عطاء وبذل بل هو تربية الإنسان السوي البعيد عن الطمع والشح، ومن هذا المنطلق جاءت آيات الله القدير تبشر وتنذر، ترغب وترهب، وتدعوا إلى الإنفاق والعطاء، ومع هذا التوجيه الكريم يناشد الاسلام بالوسطية والاعتدال في الأمور كلّها، ويحاول هذاالمقال إلقاء الضوء على هذه السمة المميزة للأمة الوسط التي مدحها المولى عزّ وجلّ بقوله تعالى:(وكذلك جعلناكم أمة وسطا)[1] وذلك من خلال بحث النقاط التالية:

* Associate Professor of *Sharī'ah*, HITEC University Taxila

[1] البقرة2: 143-

امر الإنفاق

يقول الله سبحانه:" آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ"[2]. اقتران الإنفاق بالإيمان بالله ورسله يدل بقوة على وجوب الإنفاق في سبيل الخير والإنفاق صفة أساسية وسمة مميزة للمؤمنين كما جاء في القرآن العظيم:

- **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ "[3].**
- **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ "[4].**
- **"وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"[5].**

كل هذه النصوص القرآنية تدل وتحث على الإنفاق المستمر لئلا يكون في المجتمع الإسلامي فقير أو محروم يعاني من مشقة الحياة الاقتصادية. و وردت أحاديث نبوية كثيرة في هذا الموضوع، كما جاء في حديث شريف قال رسول الله ﷺ :

> **يقول العبد مالي مالي وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأقنى وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس۔[6]**
>
> **أيّكم مال وارثه أحب إليه من ماله) قالوا: يارسول الله، ما منا أحد إلّا ماله أحب إليه، قال: فإنّ ماله ما قدم ، ومال وارثه ما أخر۔[7]**

فما أجمل أسلوب الحديث الشريف للحث على إنفاق المال في وجوه الخير كلها!

نماذج عملية

وكانت لهذه التوجيهات آثارها البالغة في نفوس الصحابة الكرام أول جيل الإسلام، فكانوا يتسابقون في الخيرات كما تروي الآثار الواردة، فقد ذكر الإمام القرطبي في تفسيره:

---

[2] الحديد57: 7۔

[3] البقرة2: 3۔

[4] البقرة 2: 274۔

[5] الحشر59: 9۔

[6] مسلم بن حجاج القشيرى ، الجامع الصحيح (بيروت:دار احياء التراث العربى، س ن)، 4: 2273۔

[7] محمد بن اسماعيل البخارى ،الجامع الصحيح (بيروت:دارطوق النجاة ، 1422ھ)،8: 93۔

- عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: لما نزلت: "مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ "قال أبو الدحداح الأنصاري: يارسول الله: إن الله يريد منا القرض؟قال: نعم يا أبا الدحداح قال: أرني يدك يارسول الله فناوله يده،قال: فإنّي قد أقرضت الله حائطا فيه ستمائه نخلة، ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه وعيالها فناداها:يا أم الدحداح قالت: لبيك: قال: اخرجي، فقد أقرضت ربي حائطا فيه ستمائة نخلة[8].
- وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً، وكان أحب أموال إليه بيرحاء (اسم الحديقة) وكانت مستقبله المسجد، وكان النبي ﷺ يدخلها، ويشرب من ماء فيها طيب.قال أنس رضى الله عنه: فلما نزلت: "لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ".قال: أبو طلحة: يارسول الله، إن الله يقول: "لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ"وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو بها برها وذخرها عند الله تعالى، فضعها يارسول الله حيث أراك الله، فقال النبي ﷺ:" بخ بخ ذاك مال رابح، ذاك مال رابح، وقد سمعت وأنا أرى أن تجعلها في الأقربين، فقال أبو طلحة: أفعل يارسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه"[9].

وهذه هي الآثار النيرة والشموع المضيئة على طريق الحياة المسلمة، ولنا فيها قدوة حسنة إن كنا من الراشدين، وإن كان الإسلام يحث أتباعه على الإنفاق المنظم في حماية نفس الإنسان وأهله وفي سبيل الله فعلى جانب آخر حرم الإسراف والترف وإضاعة المال فيما لا ينفع البشر فهناك قيود عامة للاستهلاك والإنفاق التي تجعل المسلم يشعر بمسؤوليته تجاه المال الذي هو قوام الحياة. فهو مسؤول أمام الله عن كسب المال وإنفاقه، كما جاء في حديث صحيح عن أبي برزة الأسلمي رفعه:

> **لا تزول قدما عبد حى يسأل عن عمره فيم أفناه،وعن علمه في فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه۔[10]**

---

[8] محمد بن احمد القرطبى ،الجامع لاحكام القرآن (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1964ء)،3: 237۔

[9] محمد بن عبد الله الخطيب التبريزى ،مشكاة المصابيح(بيروت: المكتب الاسلامى ،1985ء)، 1: 438۔

[10] محمد بن عيسى ترمذى ، سنن الترمذى (بيروت:دار احياءالتراث العربى، س ن)،4: 612۔

وصف الإنفاق

والإنفاق يطهر النفوس من الشح المكنون والبخل المذموم الذين هما صفتان منهي عنهما شرعا لأنّهما يعرقلان استخدام المال الصحيح في إشباع الحاجات وإقالة العثرات وتنمية المجتمعات، فلهذا جاءت آيات الله وأحاديث رسول الله ﷺ تنبه وتحذرِ عن الشح والبخل والتقتير.قال الله تعالى:

- **"وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"[11]**
- **"فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"[12]**

والأحاديث النبوية كثيرة في هذا الباب فقالﷺ:

- **إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا[13].**
- **وعن أنس رضى الله عنهعن رسول الله ﷺ قال ثلاث مهلكات، شح مطاع، وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه[14].**

وهذه التوجيهات الإسلامية الرشد إلى الإيمان السليم المعتدل لا هو إسراف مذموم ولا هو بخل معيوب بل كان بين ذلك قوامها.

الترف المنهي عنه

ولم يكتف المنهج الإقتصادى الإسلامى على الأمر بالإنفاق والنهي عن الشح البخل، بل وضع قيودا وحد حدودا لهذين الأمرين، ثم بين عقاب من لا يمتثل ويسرف ويترف في استخدام المال ويتوسع في أسباب الرفاهية، والترف منهي عنه شرعا، بل هو صفة من صفات أهل النار كما جاء في القرآن كريم:

وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ۝ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ۝ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ۝ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ۝ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ۝ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ۝[15]

---

[11] **آل عمران3: 18-**

[12] **التغابن 64: 16-**

[13] **سليمان بن اشعث، سنن ابی داود(بیروت:دارالکتا ب العربی ، س ن)، 2: 61-**

[14] **احمد بن الحسين البيهقى، شعب الايمان (بيروت: دالكتب العلميه، 1410ھ)،1: 471-**

وهذا الترف والغرق في شهوات الدنيا والمتاع الأدنى جعلهم يأكلون ويتمعون كما تأكل الأنعام وينسون ربهم وخالقهم، بل وجعلهم يطغون على العباد ويكثرون الفساد ويكفرون برب العباد كما ذكر القرآن الكريم: "وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ"[16]

وإذا تجاوز ترفهم وطغيانهم أهلكهم الله ومن معهم فكانوا من الهالكين " وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا "[17].إن المسلم دائما يكون أمره متسما بالجمال، والجمال دائما يكون في التوسط والاعتدال. وقوامة ترشيد الإنفاق الاستهلاكي تستوجب الاعتدال بعيداً عن مظاهر السرف والترف والشح والبخل وقد مدح الله سبحانه عباد الرحمن في القرآن الكريم: وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا[18].وحد الوسطية يكون بين البخل والبسط ويأمر القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى: "وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا"[19].

تحديد إطار الإنفاق

ودستور القرآن الكريم يحدد إطار الإنفاق بين الإفراط والتفريط فيقول:لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا۔[20] والمعيار في هذا ما قدره العقول الرشيدة والفضائل الحميدة في المجتمع حذرا من الإسراف والتبذير المنهي عنه في قوله تعالى:وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًاo إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا۔[21]قال الفخر الرازي في تفسيره:" قال تعالى وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا"والتبذير في اللغة: إفساد المال وإنفاقه في السرف."[22]قال في القاموس:بذره تبذيرا: خربه وفرقه إسرافا[23] قال الفخر الرازي في تفسيره : ثم نبه تعالى على قبح التبذير بإضافته إياه إلى افعال الشياطين. فقال: "إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ"والمراد من هذه الأخوة: التشبه بهم في ذا الفعل

---

[15] الواقعة56: 41-42۔

[16] سبأ34: 34۔

[17] الإسراء 17: 16۔

[18] الفرقان25: 68۔

[19] الإسراء17: 29۔

[20] الطلاق65 : 7۔

[21] الإسراء17: 26-27۔

[22] محمد بن عمر بن الحسين الرازى،مفاتيح الغيب(بيروت:دارالكتب العلمية، 2000ء)،20: 155۔

[23] محمد بن يعقوب الفيروز آبادى،القاموس المحيط(بيروت: موسسة الرسالة ، 2005ء)،1: 348۔

القبيح، وذلك لأن العرب يسمون الملازم للشيء أخا له فيقولون: فلان أخوالكرم والجود، وأخو السفر، إذا كان مواظبًا على هذه الأعمال، وقيل: قوله: "إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ" أي قرناءهم في الدنيا والآخرة كما قال: "وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ".وقال تعالى: "احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ"..أي قرناءهم من الشياطين، ثم إنه تعالى بين صفة الشياطين فقال:"وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا".ومعنى كون الشيطان كفورا لربه: هو أن يستعمل بدنه في المعاصي والإفساد في الأرض والإضلال للناس وكذلك كل من رزقه الله مالا أو جاها فصرفه إلى غير مرضاة الله تعالى كانه كفورا لنعمة الله تعالى۔"[24]

وقوله تعالى: "وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا"[25]۔قال الفخر الرازي في تفسيره :

> "أما كونه ملومًا فلانه يلوم نفسه وأصحابه أيضا يلومونه على تضييع المال بالكلية وإبقاء الأهل والولد في الضرر والمحنة، وأما كونه محسورا فقال الفراء: تقول العرب للبعير: هو محسوراً إذا انقطع سيره وحسرت الدابة إذا سترها حتى ينقطع سيرها.من قوله تعالى: "يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ"[26].وجمع الحسير، حسرى مثل قتلى وحرمى.وقال القفال:المقصود تشبيه حال من أنفق كل ماله ونفقاته بمن انقطع في سفره بسبب انقطاع مطيته يحمل الإنسان ويبلغه إلى آخر الشهر أو السنة، كما أن ذلك البعير يحمله ويبلغه إلى آخر المنزل فإذا انقطع ذلك البعير وسط الطريق صار عاجزًا متحيرًا، فكذلك إذا أنفق الإنسان مقدار ما يحتاج إليه في عدة شهر بقي في وسط ذلك الشهر عاجزً متحيرا ومن فعل هذا لحقه اللوم من أهله، والمحتاجين إلى إنفاقه عليهم بسبب سوء تدبيره وترك الحزم في مهمات معاشه"[27].

الاعتدال المطلوب

فالمسلم مأمور بتدبير معيشته أحسن تدبير حتى يكون لديه من المال ما يجعله في الاستهلاك وبالتالي في الاستثمار من جديد حتى يساهم بدوره في تنمية المجتمع الإنساني، فلذا يجب أن يكونه إنفاقه كما قال الخليفة عمر بن عبدالعزيز: «}» إذ قيل له كيف نفقتك؟ فقال: «الحسنة بين

---

[24] الرازی،مفاتیح الغیب، 155/20۔

[25] الإسراء17: 29۔

[26] الملك67: 4۔

[27] الرازی،مفاتیح الغیب، 20: 156۔

السيئتين» قيل وما ذاك: قال "وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا"[28] ومن هذا المنطلق لا مجال للمسلم للاستهلاك التفاخري كما يحدث في أفراح الزواج أو الاستهلاك من أجل المحاكاة والتقليد للعادات المستوردة في جميع الأحوال بل هو مأمور أن ينظر إلى أقل منه في الأمور الدنيوية وينظر إلى أحسن منه في أمور الآخرة لينمو الجسد والروح معا، وهكذا يكون الاعتدال مطلوباً في كل الأمور حتى لا يختل الميزان الاقتصادي في المجتمع، فلما أراد الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه التصدق بأكثر من ثلث ماله قال النبيﷺ له:

"إنك إن تذر ذريتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس"[29].

وكذلك صحابي آخر أراد أن يتصدق بجميع ما عنده فمنعه النبي ﷺ كما جاء في رواية جابر رضي الله عنه قال: "كنا عند رسول الله ﷺ اذ جاءه رجل بمثل بيضة من ذهب فقال يارسول الله! أصبت هذه من معدن فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها فأعرض عنه رسول الله ﷺ،ثم أتاه من قبل ركنه الأيمن فقال مثل ذلك، فأعرض عنه رسول الله ﷺ،ثم أتاه من خلفه، فأخذها رسول الله ﷺ فحذفه بها، فلو أصابته لأوجعته- أو لأوقرته- فقال رسول الله ﷺ:يأتي أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة،ثم يقعد يستكف الناس،خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى"[30]۔

وتجري هذه القاعدة في صغار الأمور وكبارها وحتّى منع النبي ﷺ الإسراف في استخدام الماء للوضوء كما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص قال:

"مر رسول الله ﷺ بسعد وهو يتوضأ فقال : ما هذا السرف يا سعد؟ فقال:أو في الوضوء سرف؟ قال:نعم وإن كنت على نهر جار"[31]۔

نتيجة البحث

إن هذا الفهم النبوي السليم في استخدام الموارد هو المطلوب إذا اراد المجتمع الانساني ان يحصل على الاستقرار الاقتصادي اليوم،فليسيروا على ما سار عليه السابقون من الرعيل الاسلامي الأول،وقد ثبت فضلهم على مر العصور والقرون، حيث كانوا يؤثرون الآخرين على أنفسهم ولايقدمون أنفسهم

---

[28] الفرقان25: 67۔

[29] بخاری،الجامع الصحيح،2: 81۔

[30] سليمان بن اشعث ،سنن ابی داود،2: 128۔

[31] احمد بن حنبل ،مسند أحمد (بيروت:موسسة الرسالة، 1999ء)، 11: 636۔

على اخوانهم ولو كان بهم خصاصة إلى شيئ ما.فإذا ما حصل الجميع على حوائجهم الاساسية فليبدءوا بمرحلة التيسيرات والتحسينات، وبالله التوفيق.